

## أثر السماع والقياس في إثراء المعجم اللغوي للطفل

م.م. آية علي ناصر

جامعة بغداد / كلية التربية ابن رشد للعلوم الإنسانية

### الملخص:

يعدُّ الكلام أبرز مظاهر تطور البشر وتفوقه على سائر مخلوقات الأرض، ولكي ينتج الكلام لابد من وجود اللغة التي تشتمل على عدد كبير من الرموز اللغوية، والتي تحتاج إلى علاقات ائتلافية معقدة ومتنوعة لا يتقنها إلا بنو البشر. وحتى يستطيع الإنسان التواصل مع غيره عليه أن يجمع ثروة من الكلمات ويخزنها في ذاكرته، وقد هيا الله سبحانه وتعالى للإنسان وسائل تعينه على جمعها، ومن أبرز هذه الوسائل: السماع والقياس. ولما كان السمع أول الحواس التي يعتمد عليها الطفل للتواصل مع محيطه اللغوي واكتساب لغة قومه اكتسب السماع أهمية كبيرة تفوق القياس في إثرائه لمعجم الإنسان اللغوي، غير أنَّ ذلك لا يقلل من أهمية القياس؛ فمن المستحيل أن يسمع الإنسان كل صيغ اللغة وأساليبها المتنوعة.

**الكلمات المفتاحية:** (السماع، والقياس، والمعجم اللغوي للطفل).

## The effect of hearing and measurement in enriching the child's lexicon

M.M. Ayat Ali Nasser

University of Baghdad / College of Education Ibn Rushd for Humanities

### Abstract:

Speech is the most important manifestation of human development and superiority over other creatures of the earth. In order to produce speech, there must be a language that contains a large number of linguistic symbols, which require complex and diverse coalition relationships that only human beings can master. In order for a person to communicate with others, he must gather a wealth of words and store them in his memory. God has created for man the means to help him gather them. The most prominent of these are listening and measuring. As hearing is the first senses on which the child relies to communicate with his or her linguistic environment and acquire the language of his people, listening has gained great importance in measuring the enrichment of the lexicon of the linguistic person, but this does not diminish the importance of measurement.

**Keywords:** (hearing, measurement, language dictionary of the child).

## المقدمة:

اللغة واحدة من أعجب المبتكرات التي أظهرت التطور البشري - كما وصفها فندريس - وهي إحدى مظاهر السلوك الإنساني، إن لم تكن أهمها، وتستمد مادتها من الأصوات، وهذه الأصوات لا تؤدي وظيفتها إلا إذا ارتبط بعضها وبعض ارتباطاً وثيقاً، وعلى وفق نظامٍ معينٍ متعارفٍ عليه في المجموعة اللغوية للغة ما. ومن أهم نتائج هذا الائتلاف والتناغم بين الأصوات: الكلمات، التي تعكس معارف الإنسان، وتجاربه، وأفكاره، وصوره الذهنية<sup>(١)</sup>.

واللغة كالشمس يدور في فلكها الدارسون نحويون وصرفيون وأصواتيون، وكل منهم تدفعه قوة الجاذبية إليها الرغبة في البحث في موضوعٍ من موضوعاتها. وحين دراستي لطفولة هذه اللغة عند الناشئة من ابنائنا في مرحلة دراستي في الماجستير استوقفتني موضوعاتٍ متعددة تعذر عليّ دراستها حينها، وجدتهاً جديرةً بالدراسة والبحث فيما بعد، ومن بين هذه الموضوعات: السَّماع والقياس عند الطفل. إذ كثيراً ما تداول الدارسون قديماً وحديثاً هذين المصطلحين كلاً حسب اختصاصه، فعلماء النحو يعدّانها أهمّ الأصول - إن لم يكونا الأصلين الوحيديين فيه -، وعلماء أصول الفقه يعدّانها أهمّ الأصول في علم أصول الفقه<sup>(٢)</sup>، وغير ذلك من العلوم، فأحببت الوقوف على هذين العاملين لمعرفة أثرهما في إثراء المعجم اللغوي للطفل، ومعرفة أيهما يثري معجمه أكثر السماع أم القياس؟

في البدء فالإنسان يكتسب لغة بيئته، ويثري معجمه اللغوي من طريقتين هما:

❖ **السماع:** أي سماع كلام البيئة التي يتربص فيها الإنسان، وهذا الأمر مرتبطٌ بالجهاز السمعي، الذي ينقل إليه الأصوات، والكلمات، والجمل؛ ليخزنها وينهل منها ما يحتاج إليه للتعبير عن احتياجاته<sup>(٣)</sup>. ومعنى ذلك ارتباط السماع بالكلام المنطوق.

❖ **القياس:** وفيه يعتمد الإنسان على القدرات العقلية التي يمتاز بها من بقية المخلوقات، فتمكّنه من قياس كثيرٍ من الكلمات على ما سمع من الكلمات في وقتٍ سابقٍ.

وفيما يأتي تفصيل هاتين الطريقتين:

## أولاً/ السَّماع:

"السَّمْعُ: حِسُّ الأذُن. وَفِي النَّزِيلِ: أَوْ أُلْقِيَ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ... السَّمْعُ المَصْدَرُ، والسَّمْعُ: الإِسْمُ. والسَّمْعُ أَيضاً: الأذُن، وَالْجَمْعُ أَسْمَاعٌ... والسَّمْعُ: مَا وَقَرَ فِي الأذُنِ مِنْ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ"<sup>(٤)</sup>.

والسامع هو الشخص الذي يستمع إلى المتكلم، ومن المعلوم أنّ عملية الاتصال اللغوي تستلزم وجود شخصين على الأقل: متكلم وسامع أو مستمع<sup>(٥)</sup>. والسمع وما يتصل به من إدراك وفهم عمليات ترتبط بالكلام. وغالباً ما يبدأ التواصل اللغوي برغبة لدى المتكلم في إيصال فحوى رسالته للمستمع، فيقوم بصياغة فكرته في قالب لغوي يجري على سنن اللغة التي يتشارك بها وإبناء

مجتمعه اللغوي، وهذه العملية ترتبط بنشاط المخ، وبها يتحقق للرسالة المنطوقة وجود لغوي<sup>(٦)</sup>، فيرسل المخ إشاراته على هيئة مثيرات عصبية إلى أعضاء النطق لتتحرك بتتابع، وتزامن، وكيفية دقيقة، فيضفي ذلك على الرسالة اللغوية معاني كثيرة كالغضب، أو التهكم، أو السخرية، أو التعجب... وغير ذلك مما يهّم المتكلم لإيصال فحوى رسالته للمتكلم، وزيادة وضوحها، ودقتها. وبذلك يتحقق الوجود النطقي للرسالة، وبذلك ينتهي عمل الإرسال الذي يقوم به المتكلم، ويبدأ عمل المستمع الذي يبدأ بانتباهه إلى الموجات الصوتية التي اطلقها المتكلم في الهواء واستماعه لها، فيقوم باستقبال هذه الموجات عبر حاسة السمع التي يقوم بها عضو مهم في جسم الإنسان هو الأذن، فتطرق هذه الموجات طبلة الأذن ثم تنتقل هذه الموجات إلى الأذن الوسطى ثم إلى الأذن الداخلية، فتنتقل هذه الموجات من طريق الأذن الداخلية في صورة مثيرات عصبية إلى المخ، وبذلك يتحقق للرسالة الوجود السمعي، وحين وصول الرسالة إلى مخ السامع يتم تفسير فحوى هذه الرسالة<sup>(٧)</sup>. ويعتمد تفسير فحوى هذه الرسالة الصوتية على ما صاحب أصواتها من رنين، وتردد، وطول موجي مخصوص، وبذلك يتحقق للرسالة الجانب الإدراكي، فيدرك المتكلم فحوى الرسالة وما صاحبها من معاني استفهامية، أو تعجبية، أو تهكمية. بمعنى أنّ المتكلم يمتلك أفكار يحولها إلى رموز يمكن فهمها من قبل السامع، ويظهر التواصل فقط حينما يحدث فهم مشترك للرسالة بين المتكلم والسامع، فعملية ترميز الأفكار إلى رموز التي يقوم بها المتكلم تعدّ جزءاً مهماً في عملية التواصل، لكن عليه أن يحدد الطبيعة الميكانيكية أو آلية النطق بالأصوات؛ لتقديم الرسالة بصورة تكون أكثر اسماغاً، وأسهل فهماً وإدراكاً للسامع<sup>(٨)</sup>. وغالباً ما يقوم الانسان بعمل المتكلم وعمل المستمع، فيكون مرةً مستمعاً ومرةً أخرى متكلماً، وبذلك يتحقق التواصل اللغوي. فالكلام ما وجد إلا لكي يُسمع، وبذلك ندرك أهمية السمع (استقبال الصوت) فبفضله يحصل كل إنسان على نظام لغوي يتمكن من طريقه من التواصل مع أقرانه<sup>(٩)</sup>.

وفي أثناء عملية التواصل اللغوي هذه يتمكن الإنسان من إثراء معجمه اللغوي، وذلك باعتماده على حاسة السمع، التي تعمل لدى الإنسان في كل الأوقات، والأحوال، فالإنسان يسمع أكثر ممّا يتكلم، أو يكتب، أو يقرأ. وفي أثناء عملية الإدراك التي يقوم بها المستمع حينما يستقبل الرسالة اللغوية يتوصل إلى معاني الكلمات التي تمثل الجانب اللغوي من الرسالة، وتقوم ذاكرة الإنسان بالاحتفاظ بالكلمات الجديدة التي أثارت المستمع حين عملية التواصل اللغوي، وبذلك يزداد المحصول اللغوي للفرد.

وجود الكلام المنطوق يستلزم بالضرورة وجود سامع، وهذا الكلام المنطوق ذو ارتباط وثيق بالبيئة التي تُمارس فيه<sup>(١٠)</sup>، فيؤثر فيها وتؤثر فيه؛ لذلك نجد لكل إنسان معجمه اللغوي الذي يمتاز به من غيره؛ لأن كل واحد منا يربى في بيئة وظروف مختلفة عن الآخر، بل أنّ هذا الاختلاف

يكون حتى في داخل البيئة الأسرية الواحدة؛ فلكل إنسان شخصيته، وميوله، وطباعه، وتكوينه العقلي والعاطفي الذي يمتاز به عن أخيه الذي يشاركه بيئته الأسرية الواحدة. وعليه حظيت اللغة المنطوقة باهتمام العلماء منذ القدم؛ لأنها عُرِفَت أولاً ثم جاءت الكتابة بعدها؛ لتحفظها من الضياع والنسيان. وربما ترجع أهمية اللغة المنطوقة إلى أنها أكثر تمثيلاً لوظيفة الاتصال من لغة الكتابة، فالإنسان العامي ينتج من لغة الكلام أكثر مما ينتج من الكتابة، لذلك أولى العلماء اللغة المنطوقة اهتماماً كبيراً<sup>(١١)</sup>، فهي ظاهرة اجتماعية وفردية<sup>(١٢)</sup>، وتحتل مكانة تزيد على نظيرتها المكتوبة التي تعدُّ ظاهرة تابعة لها، فهي ليست اللغة الفعلية التي يتعامل بها الناس بعضهم وبعض<sup>(١٣)</sup>.

وفضلاً عن ذلك يعدُّ قوة السمع أمراً ضرورياً؛ ليتعلم الإنسان أصوات بيئته، ويحاكي كلماتها وتراكيبها، والذي يزيد من أهمية السمع أن قدرة الإنسان على الكلام تتوقف على قدرته على السمع، وأنَّ حصول أي إعاقة سمعية سيؤثر سلباً في قدرة الإنسان على اكتساب اللغة وفهمها، لذلك يؤدي الإصابة بالصمم الولادي إلى عدم القدرة على الكلام<sup>(١٤)</sup>. وفيما يختص بالطفل يعدُّ السمع من أهم العوامل والوسائل التي يستعملها الطفل لاكتشاف البيئة التي تحيط به، وللاتصال مع من يحيطون به، إذ يذكر علماء النفس أنَّ "الطفل قبل أن يتلفظ لفظة واحدة، سواء كانت من لغة مجتمعه أو أنها من تشكيلاته الصوتية الخاصة يكون قد جمع ثروة لا يستهان بها من الألفاظ والعبارات"<sup>(١٥)</sup>. وعلى الرغم من عدم قدرة الطفل على الكلام يمكنه فهم كلام افراد بيئته، فهو يستطيع أن يدرك وهو في آخر عامه الأول ما يقوله الآخرون ويفهمه ويستجيب لكثير من تساؤلاتهم وأوامرهم، فإذا قلت له -مثلاً- احضر جهاز التحكم بالتلفاز يذهب ويطلبه لك، وفي هذا دليل على فهمه لكلامنا وإدراكه لمعاني ما يُقال له حتى وإن لم يتمكن بعد من الكلام بلغة مشابهة للغة افراد بيئته. ففهم الطفل للكلمات واستجابته الصائبة لبعض التوجيهات والاسئلة غير قاصرة كقصور كلامه، وعليه يمثل السمع للطفل مفتاح اكتشاف للعالم الذي يحيط به، وهو أول الوسائل التي يعتمد عليها الطفل في جمع ثروة من المفردات اللغوية وخرزنها في ذاكرته لتصبح فيما بعد معجمه اللغوي الذي ينهل منه ما يحتاج التعبير عنه.

#### ثانياً/ القياس:

وهو من "قاس بقيسه قياساً.. قدره على مثاله"<sup>(١٦)</sup>. وفي الاصطلاح نعني به: جمعُ النظر إلى النظر<sup>(١٧)</sup>، وبذلك لا نجد فرقاً بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي فكلاهما يدلُّ على قياس شيءٍ بآخر يناظره في القالب اللغوي أو المعنوي. والقياس الذي نريده هنا هو القياس التطبيقي الاستعمالي الذي يمثل الجانب العملي من اللغة، والذي يعدُّ وسيلة تعين الطفل على كسب اللغة<sup>(١٨)</sup>.

ويعدُّ الدكتور إبراهيم أنيس أبرز من تحدث عن فكرة القياس عند الطفل وفصل القول فيها، فهو عنده عملية عقلية يقوم بها كلُّ منا كلما اعوزته كلمة من الكلمات أو صيغة من الصيغ<sup>(١٩)</sup>، ويمكننا أن نجد مصداق هذا الأمر حينما نرى طفلاً يلهو بلعبته مع نفسه أو مع اقاربه وقد احتاج إلى كلمة ما ليعبر بها عن أمر معين، أو حدث طارئ، أو جزء من لعبته التي يلهو بها، لكنه لم يسمع هذه الكلمة من محطيه اللغوي، وحينئذ لا يتردد في استخراج كلمة جديدة يعبر بها عما يريد<sup>(٢٠)</sup>. فهذه العملية العقلية التي قام بها الطفل تسمى القياس، وهو يعتمد في استحداث هذه الكلمات على النماذج المخزونة في عقله. والكثير منا يحتفظ بكلمات كثيرة لأبنائنا نطقوا بها في مرحلة نموهم اللغوي وظلت لغرابتها عالقةً في أذهاننا، وقد اكتسبت هذه الكلمات غرابتها من مخالفتها للعلاقات الاتلافية المتعارف عليها للأصوات في المجموعة الكلامية للإنسان.

وهذه الظاهرة لا تقتصر على الصغار وحسب بل قد تحدث للكبار أيضاً، فحينما يقرأ أحدنا في كتاب ما ويصادف كلمة لم يسمعها من قبل سيحاول حينئذ النطق بها بطريقة معينة، وتحديد معنى معين لها، فإذا أهدى إلى النطق الصحيح بها أو إلى المعنى المعجمي لها يكون قياسه صائباً، وإن كان غير ذلك فقياسه غير صحيح<sup>(٢١)</sup>.

والإنسان يعتمد في تحقيق ذلك على أذنه في سماع كلام المحيطين به، وعلى القدرات الفطرية في بحثه عن القواعد اللغوية التي تعطي كلامه الترتيب اللغوي نفسه الذي يسمعه من المحيطين به. فالإنسان لديه قدرة فطرية على إيجاد القواعد، وكذلك اختراعها، وكلما تقدّم به العمر أكثر زادت هذه قدرة لديه من طريق ما يعرض له من نماذج وقوالب لغوية يسمعه من المحيطين به<sup>(٢٢)</sup> وهذا لا يحدث إلا بتفاعل الإنسان مع بيئته المحيطة به في سنوات حياته الأولى<sup>(٢٣)</sup>. ومن المسلم به أنّ لدى الاطفال استعداداً ولادياً لمهارة لغوية تسمى (جهاز اكتساب اللغة) (Language Acquisition Device) يُرمز له بالرمز (LAD)، وهو ميكانيزم افتراضيّ داخليّ يُمكنّ الطفل من السيطرة على الإشارات القادمة واعطائها معنى، ونتاج استجابة لهذه الإشارة<sup>(٢٤)</sup>.

ويرى الدكتور أنيس أنّه من غير الضروري أن يكون كل ما ينطق به المتكلم قد سمعه سابقاً من متكلم آخر، وعليه يرى من غير الضرورة أيضاً الحكم على أنّ كلام المرء لم يكن إلا وليد تقليد الإنسان لما يسمعه من كلام، ويعلل هذا الأمر بكثرة صيغ اللغة وتنوع أساليبها بصورة يصعب معها القول أنّ كل متكلم قد مرّت به تجربة سماع لجميع صيغ اللغة، ولكل أسلوب من أساليبها، وإنما سمع بعضها وخرنها في ذاكرته مرتبةً، ومنظمةً، ومبوبةً في مجاميع منسجمة: منها مجموعة للأسماء المذكورة، ومجموعة ثانية للأسماء المؤنثة، وثالثة للمفردات، ورابعة للمجاميع وأوزانها وغير ذلك، غير أنّ ذلك لا يعني أنّ عملية تجميع هذه الصيغ وخرنها في الذاكرة بما فيها من تبويب وتنظيم يجري بصورة مشابهة لما يفعله النحاة وواضعي قواعد اللغة<sup>(٢٥)</sup>، بل يكون ذلك بصورة تعين

الانسان على استرجاع ما يحتاج من هذه الصيغ دون لبس أو خطأ. غير أنني لا اتفق تماماً مع هذا الرأي؛ لان ما ذكره الدكتور أنيس يفهم منه أن جانب السماع ليس المسؤول الرئيس في إثراء معجم الإنسان، والحقيقة غير ذلك فالسماع العامل الأول والرئيس في اكتساب الطفل لغة بيئته؛ لأنه لولا السماع لما استطاع أي انسان بناء نظام لغوي يتواصل به مع أقرانه، معتمداً في ذلك على القدرات العقلية والفطرية التي فضل الله بها البشر من سائر مخلوقاته، غير أن ذلك لا ينفي العلاقة الطردية بين السماع والقياس إذ تعتمد عملية القياس كلياً على وجود أنموذج مخزون في عقل الإنسان، والإنسان يحصل على النماذج والقوالب اللغوية من سماعه للغة بيئته، وعليه نجد انتاج الكلام بما يحتويه من قوالب لغوية ومعانٍ متعددة معتمداً على هذين العاملين اعتماداً كلياً.

وفيما يختص بظاهرة القياس عند الإنسان يرى الدكتور أنيس أنه من الصعب الحكم حينما نسمع متكلماً ينطق بصيغة ما عما اذا كانت هذه الصيغة قد سمعها من قبل أم انها بنت الساعة، لكن يمكن أن يعيننا في الحكم عليها معرفة ما شاع من اللغة بين المتكلمين، فإذا خالفت هذه الصيغة ما شاع في المجتمع اللغوي عدت غير صحيحة، وبذلك نستطيع الحكم على أنها من عمل الفرد، وليست مما سمعه من قبل، وهذا ما يقع فيه كل منا من وقت لآخر. وبذلك يرى الدكتور أنيس أن اللغة أمرٌ معنوي لا وجود له إلا متصلاً بالإنسان، ومن الخطأ أن ننظر إليها على أنها مجموعة من كتب النحو أو كتب المعاجم<sup>(٢٦)</sup>. وهذا ما توافقه الباحثة تماماً.

وفي جانب آخر يختص بالدراسات اللغوية الحديثة لا يخفى على أحدنا ما طرأ عليها من اتجاهات بحثية جديدة تبناها علماء كثيرون أدت إلى تحول كبير في حركة البحث اللغوي، ومن أهم هذه الاتجاهات ما دعى إليه العالم نعوم تشومسكي، الذي أولى عملية اكتساب الانسان لغة بيئته اهمية كبيرة، وقد تبنى هذا العالم آراءً كثير تُعنى بتفسير الكيفية التي يكتسب بها الانسان اللغة، ومن أهم هذه الآراء التي ذهب إليها تشومسكي أن الاطفال في كل مكان في العالم يتعلمون قواعد لغوية بالغة التعقيد بسرعة هائلة، بصورة توحى هذه السرعة الهائلة في اكتساب قواعد اللغة أن الإنسان ذو تركيب خاص يؤهله لاكتساب اللغة من طريق تحليل البيانات التي يتسلمها (يسمعها)، وتكوين فرضيات حول كيفية بناء التركيبات اللغوية، فالطفل ينصت إلى صيغ الكلام في بيئته من طريق حاسة السمع، ويصنّف هذه الكلمات إلى اصناف قواعدية، ومن ثمّ يستعمل هذه القواعد لكي ينطق بجمل جديدة لم ينطق بها أحدٌ من قبله، وفي الوقت نفسه تمكّنه هذه القواعد الضمنية من صياغة الاشتقاقات اللغوية، فمثلاً الطفل العراقي يستخلص في صياغة الجمع - مثلاً- اوزاناً لغوية معقدة، فقد يجمع كلمة (رجل) بصيغة (رجاجيل) على وزن (فاعيل) قياساً على نحو: مفتاح و مفاتيح، وكتكوت وكتاكيت، وذلك دون أن يتعلم هذه الاشتقاقات في المدرسة، وحتى

قبل ان يدخل المدرسة<sup>(٢٧)</sup>. والامثلة على ذلك كثيرة، فمثلا يصوغ بعض الاطفال من الوزن ( فعلان فعلة) الكلمات الاتية:

نعسان نعسة

تعبان تعبنة

زعلان زعلة

شبعان شبعة

ومن الوزن (فعليّة) يقول: (بلاكيّة) و(ريديّة) و(أورنجيّة) قياساً على الكلمة العربية (ورديّة). فعلى الرغم من أنّ هذه الألفاظ آفة الذكر غير عربية فهي تدل على مسميات الألوان باللغة الانكليزية نجد الطفل قد جعلها على الوزن الذي سمعه سابقاً من بيئته اللغوية فقام بقياس هذه الألفاظ على الوزن الصرفي الذي استعمله في كلمة (ورديّة) لإدراكه أنّ هذه الألفاظ تدلّ على اسماء الألوان كما تدل كلمة (ورديّة) على مسمى لون في بيئته اللغوية يكثر استعماله له، والعلماء يطلقون على هذه العملية مصطلح التعريب.

وفي حالة أخرى سمعتُ طفلةً تقول (أسودية) و(أحمرية) و(أبيضية) قياساً على كلمة: (ورديّة)، فعلى الرغم من اختلاف الميزان الصرفي بين مسميات الالوان آفة الذكر وبين الميزان الصرفي لكلمة (ورديّة) حاولت الطفلة قياس هذه الكلمة على كلمة (ورديّة) التي تستعملها بكثرة بوصفها أول الألوان التي حفظت مسماه، ولأنه من أكثر الألوان الذي يميل إلى اختياره الفتيات، لذلك مثّل الأنموذج الذي قاست عليه مسميات الألوان الباقية.

ومثلاً يصوغ بعض الأطفال من الوزن (مفعول) مثل : مفتوح، ومسدود، ومقفول كلمة: مصلوح: أي تم إصلاحه

ومثلاً يؤنث أحدهم (أحمر) فيقول (أحمرّة)، بدلاً من حمراء

ويؤنث (أصفر) فيقول (أصفرة)، بدلاً من صفراء

وقد علل الدكتور أنيس ميل الطفل إلى استعمال هذه الصيغة للدالة على المؤنث أنّ القياس في حقيقته عملية منطقية، تهدف في غالب صورها إلى جعل الظواهر اللغوية أكثر اطراداً وانسجاماً، فحينما أنّث الطفل هذان اللونان بالتاء فقال: أحمرّة وأصفرة، إنما أخضع تلك الصفات التي مؤنثها (فعلاء) إلى ما تخضع له الكثير من صفات اللغة التي تؤنث بالتاء، نحو (جميل وجميلة) و(لطيف ولطيفة)<sup>(٢٨)</sup>. فالقياس الخاطيء -كما يرى الدكتور أنيس- سلاح ذو حدين؛ ففي الوقت الذي تبتعد فيه بعض الكلمات في صيغتها عن المألوف في البيئة اللغوية يعمل القياس على الاطراد والانسجام بين كثير من صيغ اللغة<sup>(٢٩)</sup>.

ومن الأمثلة الأخرى على ذلك جمع كلمة (قلم) جمع مؤنث سالم فيقول: (قلمات)، وبعضهم جمع كلمة (قصة) فقال: (قُصَّات) على غرار سمكة وجمعها سمكات، وورقة وجمعها ورقات. فالذي يجعل الطفل يعود حينما أرد جمع كلمة (قصة) على (قُصَّات) على وزن (فعلات) هو كون هذا التركيب الجمعي قد ثبت في ذاكرته بوصفه صيغةً يجمع عليها كل اسم مؤنث أو غير مؤنث، وحينما أرد الطفل جمع كلمة (قصة) عاد في ذاكرته إلى الصيغة الجمعية المتوافرة في ذاكرته وهي (فعلات) فجمع الكلمة مستعملًا هذه الصيغة.

وآخر يؤنث وحش فيقول: (وَحِشَّة) على وزن (فَعِيلَة) قياسًا على بريئة وسريعة وبطيئة.

فالطفل يلجأ إلى القياس الخاطئ كما رأينا في الأمثلة السابقة وغيرها كثير، لعجزه عن الرجوع إلى الأنموذج الصحيح الذي يقيس عليه كلماته التي لم يسمعها من بيئته، وفي جانب آخر نجد في هذا الأمر دليلًا على صدق ما قال به العالم تشومسكي، وما قال به علماءنا في السطور المذكورة آنفًا، فالإبداعية التي استند إليها تشومسكي في تفسيره لظاهرة اكتساب اللغة عند الطفل تمكَّنه من تأليف كلمات وجمل لم يسبق للطفل أن سمعها من قبل؛ باعتماده على السَّماع الذي يوفر له الأنموذج الذي سيصبح فيما بعد قالبًا ذهنيًا ونفسيًا وصرفيًا يقيس عليه جميع التراكيب<sup>(٣٠)</sup>. ولا يقتصر أمر القياس على صيغ الكلمات وحسب بل يشمل التراكيب اللغوية أيضًا، إذ يحصل هذا الأمر حينما يسمع الطفل أحدًا يقول: يشاهد فلان التلفاز، أو يكتب فلان واجباته - وربما رأى هذين الحديثين - فحينئذ يتكون لديه أنموذج يقيس عليه كل حدث حاضر دون أن يعي الطفل أن ما سمعه هو جمل فعلية دالة على الزمن الحاضر؛ لأن فعلها جاء بصيغة المضارع وعلى وزن (يفعل)، فنجده يقول مثلًا: يذهب والدي إلى العمل، يلعب فلان بالكرة، ويأكل أخي طعامه... وغير ذلك. وهكذا يصف كل حدثٍ حاضر على شاكلة المثال المضارع الذي سمعه سابقًا من بيئته. وبالطريقة ذاتها يكتسب صيغ المضارع الأخرى، وصيغ الازمان كذلك. وفي هذا الجانب يذكر علماء النفس أن تزايد عدد الاسماء والافعال يكون في تنافس عند الطفل، إذ وجدوا أن الاسماء تتزايد وتنمو بصورة اسرع مما يحصل مع الافعال، وذلك حينما يكون عمر الطفل بين عشرين إلى ثلاثين شهرًا<sup>(٣١)</sup>؛ لأن حاجة الطفل إلى أسماء الاشخاص الذين يحيطون به أكثر من حاجته في هذه المرحلة إلى الافعال؛ فأصحابها هم الذين ينفذون حاجاته ويستجيبون إليه، أمّا الافعال فحاجتهم إليها أقل، وهي تنمو وتزداد عنده حينما يزداد نشاطه أكثر فأكثر<sup>(٣٢)</sup>. وربما أن قلة حصيلة الطفل اللغوية من أحد هذين الصنفين هي التي تدفعه إلى القياس، وذلك لتعويض ما ينقصه من الصيغ الاسمية أو الفعلية. ومعنى هذا أن القياس أمرٌ فطريّ وعفوي، وهو لا يختص بالطفل وحده، وإنما ظاهرة تحدث عند كل إنسان. وتأكيدًا لذلك يذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن الطفل ينمّي لغته بالالتجاء إلى القياس، والكبير يلجأ في كلامه إلى القياس كلما اعوزته الحاجة، ولم تسعفه



الحافظة<sup>(٣٣)</sup>. فالمتكلم يَعْمَدُ كلما دعت الحاجة إلى قياس أمور جديدة على ما في حافظته من أمور قديمة، فيقيس ما لم يسمع من قبل على ما سمع<sup>(٣٤)</sup>.

وقد تنبّه علماءنا المتقدمون على هذا الأمر، وسبقوا تشومسكي إليه بمئات السنين. إذ أشار ابن جنّي (ت ٣٩٢هـ) إلى أهمية القياس في اكتساب صيغ اللغة العربية، قائلاً إنَّ: " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ألا ترى أنَّك لم تسمع أنت ولا غيرك باسم كل فاعل ولا كل مفعول وإنَّما سمعت البعض فقسست عليه غيره، فإذا سمعت قام زيد أجزتَ ظرفَ بشر وكرمَ خالد."<sup>(٣٥)</sup>

### إيهما يُثري معجمه أكثر:

وبعد أن وقفتُ على السماع والقياس وأثرهما في إثراء المعجم اللغوي للطفل بقي أن نعرف أيهما يسهم في إثراء معجمه أكثر. والحقيقة أنَّ الطبيعة البشرية هي التي تحدد هذا الأمر وتحسمه، فالإنسان منذ ميلاده على صلة مع مَنْ يحيطون به من طريق حاسة السمع، وذلك قبل أن يُصدر أصواتاً تماثل الأصوات التي يتداولها أبناء مجتمعه اللغوي<sup>(٣٦)</sup>. وللسماع أهميته تفوق أهمية القياس في اعتماد بني البشر على هذه الحاسة في اكتساب لغة أقوامهم، هذه اللغة التي تتيح لهم التواصل فيما بينهم وتبادل الخبرات والمهارات، وغير ذلك كثير. فضلاً عن أنَّ الصمت هو الأصل عند الإنسان وما الكلام إلا حدث طارئ يلجأ إليه الإنسان للتعبير عن أمر ما، وعليه نجد جانب السماع أكثر إثراءً لمعجم الإنسان من القياس؛ لأنَّ سماع الإنسان الأصوات والكلمات يكون أكثر من كلامه وحاجته إلى التعبير والقياس، أمَّا القياس فيكون حينما تعوز الإنسان الحاجة للتعبير عن أمر ما لم يسبق أن سمع له صيغةً في بيئته اللغوي فيلجأ إلى القياس على ما في حافظته من نماذج لغوية، وقد يصيب أحياناً في قياسه، وقد يخطئ أحياناً أخرى.

### الخاتمة:

خُلصَ هذا البحث إلى الآتي:

١. إنَّ اللغة -كما وصفها فندريس- في بادئ أمرها انفعالية وفاعلة ثم تأليفية، وهي تتنوع لتقوى على تمييز الأشياء، والصفات، والحالات، وكلما زادت مرونتها قويت على التعبير عن العالم الخارجي للإنسان أكثر، ومن جوانب هذه المرونة في اللغة قدرة الإنسان على اكتساب لغة بيئته، وإثراء معجمه اللغوي من طريق السماع والقياس.

٢. القياس أمر فطري، والطفل يلجأ إليه في سنوات حياته الأولى لتعويض النقص اللغوي، فحينما يبحث الطفل عن كلمة ما في قاموسه اللغوي ولا يجدها يلجأ بصورة عفوية إلى قياسها على كلمة ما ترتبط بلوازم ما يريد التعبير عنه، كما رأينا في الامثلة المذكورة آنفاً في هذا البحث.

٣. إنَّ القياس ينمي لغة الإنسان ويثري جانبه اللغوي، بيد أنه يعتمد على السماع اعتمادًا كليًا واجبًا؛ لما يقدمه استماع الإنسان للغة بيئته من نماذج لغوية يقيس عليها الإنسان ما لم يسمعه من اللغة.

٤. إنَّ الإنسان يثري معجمه اللغوي باعتماده على جانب السماع أكثر مما يثريه معتمدًا على جانب القياس في ذلك؛ لأنَّ السمع هو الحاسة الأولى التي يبدأ الإنسان من طريقها تواصله مع العالم الخارجي حين ولادته، ويظلُّ مدةً معتمدًا عليها في جمع ثروة كبيرة من الكلمات قبل أن يتمكن من محاكاة لغة بيئته اللغوية.

٥. لا بد أن تسبق عملية القياس وجود نماذج من الكلمات المخزونة في عقل الإنسان؛ حتى يستطيع الرجوع إليها والقياس على وفق النماذج المخزونة في ذاكرته. أما السماع فلا يستلزم وجود القياس أولًا إذ هو عملية تجري بمجرد سماع الإنسان لأصوات الكلام الذي يجري في بيئته اللغوية. وبذلك فالسماع يسبق عملية القياس بكل حالٍ من الاحوال.

### الهوامش:

- (١) ينظر: اكساب وتنمية اللغة ١٥
- (٢) ينظر: الاحتكام إلى القياس وحده في النحو العربي، ٢٤.
- (٣) ينظر: أهمية السماع في الاكتساب اللغوي قبل التمدرس ١٩-٢٠.
- (٤) لسان العرب ١٦٢/٨-١٦٨.
- (٥) ينظر: معجم علم الأصوات ٨١.
- (٦) ينظر: دراسة السمع والكلام ٦.
- (٧) ينظر: المصدر نفسه ٦-٧.
- (٨) ينظر: اضطرابات الكلام واللغة ١٧-١٨.
- (٩) ينظر: اللغة لفندريس ٤٣.
- (١٠) ينظر: اكساب وتنمية اللغة ١٤.
- (١١) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ٥٩.
- (١٢) ينظر: أضواء على الألسنية ١٢-١٣.
- (١٣) ينظر: اللسانيات وتعليم اللغة ٢٤٢.
- (١٤) ينظر: اضطراب اللغة والكلام ١٤٤.
- (١٥) بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل ١١٥.
- (١٦) لسان العرب ١٨٧/٦، وينظر: مختار الصحاح ٢٦٣/١.
- (١٧) ينظر: طرق تنمية الألفاظ في اللغة، ١٩.
- (١٨) ينظر: الاصول، تمام حسان، ١٥١.
- (١٩) ينظر: من أسرار اللغة ٤٢.
- (٢٠) ينظر: من أسرار اللغة ٤٣.

- (٢١) ينظر: من أسرار اللغة، ٤٣.
- (٢٢) ينظر: سيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ٧٢، والتربية اللغوية للطفل ١٢.
- (٢٣) ينظر: اكتساب النحوية في اللغة العربية، رسالة ماجستير ٣٧، والاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية ١١٤، والتربية اللغوية للطفل ١٢.
- (٢٤) ينظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي ٤٩-٥٠، وسيكولوجية اللغة والتنمية اللغوية لطفل الرياض ٧٢، ولغة الطفل والتعلم وعلم اللغة ٥٣، وإكساب وتنمية اللغة ٣٠.
- (٢٥) ينظر: من أسرار اللغة ٤٠-٤١.
- (٢٦) ينظر: من أسرار اللغة ٤١-٤٢.
- (٢٧) ينظر اللغة وعلم النفس ١٣٦-١٣٧.
- (٢٨) ينظر: من أسرار اللغة ٤٣.
- (٢٩) ينظر: نفسه ٤٤.
- (٣٠) ينظر: أهمية السماع في الاكتساب اللغوي وفي تعلمها قبل التمدرس، رسالة ماجستير ٣٤-٣٥.
- (٣١) ينظر: بزوغ وارتقاء اللغة ١٥٣.
- (٣٢) ينظر: المصدر نفسه ١٥٧.
- (٣٣) ينظر: من أسرار اللغة ٤١.
- (٣٤) ينظر: المصدر نفسه ٤٠.
- (٣٥) الخصائص ٣٥٨/١.
- (٣٦) ينظر: اللغة لفندريس ٣٣.

### المصادر والمراجع:

١. آفاق جديدة في دراسة اللغة والعقل، نعوم تشومسكي، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار للنشر، والتوزيع، سورية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.
٢. الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية، الدكتور أحمد عبد العزيز دراج، مكتبة الرشد، ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م، (د ط).
٣. الاحتكام إلى القياس وحده في النحو العربي، الدكتورة فاطمة ناظم العتابي، دار الكتب العراقية، دار صادر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
٤. الأصول، دراسة إبستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب، النحو-فقه اللغة-البلاغة، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
٥. أضواء على الألسنية، الدكتورة هيام كريدية، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، بيروت لبنان.
٦. اضطرابات الكلام واللغة، التشخيص والعلاج، الدكتور ابراهيم عبد الله فرج الزريقات، دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.
٧. إكساب وتنمية اللغة، خالد محمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، والتوزيع، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.
٨. إكساب وتنمية اللغة، خالد محمد الزواوي، مؤسسة حورس الدولية للنشر، والتوزيع، الاسكندرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠٥م.

٩. أهمية السَّماع في الاكتساب اللغويّ وفي تعلّمها قبل التّمدرس، رسالة ماجستير، للطالب يحيى علاق، بإشراف الأستاذ الدكتور أحمد جلايلي، جامعة قاصدي مرياح ورقلة، الجزائر، ٢٠١٠-٢٠١١م.
١٠. بزوغ وارتقاء اللغة عند الطفل من الميلاد إلى السادسة، الدكتور صالح الشّماع، مطبعة الحداد، العراق، البصرة، ساعدت جامعة بغداد على نشره، ١٩٦٧م، (د ط).
١١. التربية اللغوية للطفل، سيرجو سبيني، ترجمة فوزي عيسى، وعبد الفتاح حسن، مراجعة وتقديم الدكتور كاميليا عبد الفتاح، دار الفكر العربي للطباعة والنشر، مصر، ٢٠٠١م، (د ط).
١٢. التفكير اللغويّ بين القديم والجديد، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م، (د ط).
١٣. الخصائص، ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق محمد علي النجار، منشورات الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة، (د ت).
١٤. دراسة السمع والكلام، صوتيات اللغة من الانتاج إلى الإدراك، الدكتور سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب للطباعة، والنشر، والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
١٥. سيكولوجية اللغة والتنمية اللغويّة لطفل الرياض، الدكتور محمد رفقي، دار القلم للنشر، والتوزيع، جامعة الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٦. سيكولوجية اللغة والمرض العقلي، الدكتور جمعة سيد يوسف، دار المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، السلسلة ١٤٥ ان ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
١٧. طرق تنمية الالفاظ في اللغة، ابراهيم أنيس، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م، (د ط).
١٨. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، منشورات دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـ.
١٩. اللسانيات وتعليم اللغة، الأستاذ الدكتور محمود أحمد السيد، سلسلة الدراسات والبحوث المعمقة، العدد التاسع، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، (د ت).
٢٠. اللغة، ج. قنديس، تعريب عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص، منشورات مكتبة الانجلو المصرية، مطبعة لجنة البيان العربي، ١٣٧٠هـ - ١٩٥٠م، (د ط).
٢١. لغة الطفل والتعليم وعلم اللغة، ديفيد كرسنال، ترجمة الدكتور عباس صادق الوهاب، وشاكر نصيف لطيف العبيدي، كلية التربية للبنات، طُبِع في مكتب الطباعة المركزي، جامعة بغداد، ١٤٠٩هـ - ١٩٩٠م، (د ط).
٢٢. اللغة وعلم النفس، دراسة للجوانب النفسية للغة، الدكتور موفق الحمداني، طُبِع بمطابع مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، (د ط)، (د ت).
٢٣. مختار الصحاح، زين الدين ابو عبد الله محمد الحنفي الرازي (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، صيدا، الطبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
٢٤. معجم علم الأصوات، الدكتور محمد علي الخولي، مطابع الفرزدق التجارية، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٢٥. من أسرار اللغة، الدكتور إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية للطباعة، والنشر، الطبعة السادسة، ١٩٧٨م.